

د. سعدية بن ستيي-جامعة محمد بوضياف المسيلة-الجزائر

متخيل الخطاب الروائي من خلال فضاء الوباء والفقر في رواية "كتاب الأمير"

- مقارنة سيميائية -

لم ينس الكاتب جانبا من الحياة يظهر فيه قسوتها وأمراضها، فجسد ذلك في فضاء الوباء والفقر، وهما عدوان للإنسان وخطورتها مثل خطورة الحرب وويلاتها، ويشترك في تكوين مشاهد الوباء والفقر كل من الطبيعة والإنسان. إذ كانت سبخات "الكرمة" ببركها الأسنة بناموسها الذي كان يلتصق بأوجه الأحصنة والعساكر مخلفا وراءه أمراضا كثيرة، وإرهاقات حمى المستنقعات تحول دون التقدم السريع للعسكر الفرنسي.

لقد تدخلت الطبيعة بصعوباتها للتقليل من عزيمة الجند، إضافة إلى داء الكوليرا الذي كان يجتاح المنطقة تلو الأخرى قاضيا على آلاف النفوس، فكانت الغريان إشارات سابقة لتواجد هذا المرض، وظهورها كان نذير شؤم للناس، إذ أنها تخبر مباشرة بقدوم مرض مبالغت سيقضي على الكثير من الناس، إذ أن الكاتب يقول: «وعلى الرغم من حملات التّظيف والسّوائل التي ورّعت هنا وهناك للتّقليل من انتشار الكوليرا، فقد حصدت هذه الرّيح، كما يسمّيها النّاس هنا، في الأيّام الأولى الآلاف من النّاس في الأحياء الشّعبية التي تمّ تطويقها ومنع أغلبية سكّانها من الدّخول إلى عمق المدينة أو الاقتراب من التّكنات العسكرية أو زيارة السّجون، وتركوا يموتون جوعا وعطشا قبل أن يموتوا مرضا حتّى شبع المرض منهم» (OI)

يصور الكاتب في هذا المشهد تفاقم المرض وسرعة انتشاره وأنه لم يولى عناية، بل كان هدف الفرنسيين آنذاك هو الحفاظ على صحّة الجند وحسب، ومنع دخول المصابين من الأهالي إلى قلب المدن وعدم التّعامل معهم، وإقصائهم حتّى يموتوا بأمراضهم بعيدا عن التّكنات، وفي الوقت نفسه كان هدفهم الوحيد هو قتل ثورة الأمير في مهدها، لذا كان همّهم الوحيد هو إحضار الأسلحة الفتّاة والمتطوّرة

وإرسالها إلى مدينة وهران للسيطرة على مقاومة الأمير قبل أن يشتدّ عودها، أمّا داء الكوليرا فكان معاونا لهم على إبادة الأهالي، إذ أنّ المصابين كانوا أناسا بسطاء يفتقدون إلى الأكل والشرب النظيف.

لقد كانت علاقة الإنسان الجزائري بالوضع علاقة تعايش أو محاولة العيش في ظروف قاسية، فحاول تكييف الأوضاع وفق ثنائيات متقابلة- إن صحّ لنا القول- تجسّد ما يريده من حياته، وقد ذكر "أبراهام أمول" و"إليزابيت رومر" في كتابهما "La psychologie de L'espace" بعض هذه الثنائيات، وهي: (02) (الدّاخل/الخارج)، (الفراغ/المملوء)، (التفاعل مع الأوضاع/ الانعزال والانكماش)،... إذن كان يسطّر برنامجا في حياته يقوم على حدّين متباعدين أو منعكسين في الاتجاه مثل نظام الثنائيات السابق ذكرها، بين الإيجابية والسلبية.

لقد سيطر الوباء وكان قوّة كاسرة لأهالي الجزائر، واختلطت الأمور مع بعضها، وكلّها شكّلت فضاء صعبا قاحلا مليئا بالأمراض، وقد عبّر الكاتب عن ذلك بقوله: «هذه المرّة لم يدّخر شهر أوت جهدا في اشتعالاته وحرارته، دخل دفعة واحدة بجراده وذبابه وأمراضه وحروبه وروائحه الكريهة التي لا شيء يمحوها إلا رائحة البارود التي عندما تستقر في الأنوف لا تغادرها مدّة طويلة.» (03)

إنّ هذا المقطع كان بمثابة افتتاحية لمواصلة سرد أحداث الرواية، وقد قدّم فيه الكاتب جوّا كريها مقرفا، إذ أنّ الصّيف بحرارته، وطول أيامه أصبح مدعاة للنّفور لما أتى معه من أمراض وجراد وذباب وناموسه.. وكلّها قذارات تشمّرّ لها النّفوس وفوق كلّ هذا نجد رائحة البارود التي كانت تعمّ الأرجاء، والتي لا تغادر الأنوف إلاّ بعد وقت طويل.

كان النّاس يعيشون الوباء بعينه ولا يوجد دواء لكلّ الأمراض، لانعدام الإمكانيات وأدوات الاستطباب، وكان الفقر أكبر عامل على تفشيّ الأمراض بمختلف أنواعها.

وقد قدّم لنا الكاتب مقطعا في الرواية يعبّر فيه عن ظاهرة الفقر والاحتياج إلى رغيف خبز، وعن استغلال الجند الفرنسي لبراءة الأطفال.

كان مجموعة من الأطفال يترصدون كلبا، وبينما هم كذلك تقدّم منهم

الضابط الفرنسي، قائلاً لهم:

«- جياح؟

- قليلاً، ردّ كبير الأطفال بخجل

- وهل تعرفون سبب جوعكم؟

- جدّاً، جدّاً، كرر الأطفال الصغار مثل الفريق الموسيقي.

- من إذن؟

- طبعاً الأمير هو السبب، ردّ كبيرهم وهو يحاول أن يخبئ عينيه.» (04)

وبعد أن تعمّق العسكري في أعين الأطفال قليلاً، ثمّ أعطى صغيرهم قطعة خبز، وقبل أن يمدّ الطفل يده لأخذ الخبز التفت نظرتة بخزرة أخيه الكبير، فامتنع عن أخذ الخبز، فأخذه العسكري وسحبه بعيداً عن المجموعة، فتبعه أخاه الأكبر، قائلاً:

«- إنّه أخي الصغير، يا سيدي وأخاف عليه.

- أعرف، لن آكله، أنا أسأله لماذا لا يأخذ الخبز، وهو في حاجة ماسة إليه؟ أعرف أنّكم جميعاً تتصوّرون مجموعاً ب

- صحيح، ولكن ديننا يمنعنا من الأكل من أيديكم.

- لماذا؟

- لأنكم لا تتوضّون.

- ولكننا لسنا مسلمين مثلكم، وماذا يجب أن أفعل حتّى يأكل أخوكم الصغير الخبز؟

- أن تتوضّأ، أن تغسل يديك وذراعيك ووجهك وفمك وأذنيك ورأسك ورجليك

- طلب العسكري ماء من حرّاسه، ثمّ انحنى أمام الإناء وبدأ يغسل يديه وذراعيه ووجهه وأذنيه ورأسه

ثمّ نزع حذاءه الحشن والجوارب التي كانت تغلفها، بعد أن انتهى سأل الطّفلمن جديد.

- والآن؟

- يمكن.

تابع لب

ثمّ مدّ الخبز إلى الطّفّل الذي نظر إلى أخيه قبل أن يتقدّم ويأخذ نصف الخبزة التي

وضعت بين يديه فابتعد واقتسمها مع مجموع الأطفال الذين تحلّقوا حوله كالقطط الصغيرة،

التفت العسكري مرّة أخرى نحو الصبي الذي ظلّ يتأمل أخاه المنهمك في أكل الخبز

بدون توقف.

- أقدّر شجاعتك الكبيرة، عندما تكبر سندخلك في جيشنا وستكون قائدا كبيرا ولن نجوع أبدا، وستأكل حتى الشبع، في انتظار ذلك إذا رأيت الأمير أو أحد أعوانه أو مخبريه ماذا تفعل؟
- طبعا سنجري نحو التآطور لنخبركم، بالمقابل تعطوننا الأكل ولن تضطرّ لأكل الماعز فني اللحم ج الحشن أو الكلاب الضالة أو حتى القطط.
- أحسنت أنت طفل مخلص.» (05)

يمكننا تقسيم هذا المقطع الطويل إلى ثلاثة أجزاء كما هو معيّن: أ، ب، ج، والأفكار المحددة، لكلّ جزء هي كما يلي:

أ- اختبار الأطفال، للاطمئنان إلى طريقة تفكيرهم.

ب- 1. إعطاؤهم الخبز كجزء عن حسن جوابهم.

ب- 2. امتناع الأطفال عن أكل الخبز حتى يتوضأ الضابط.

ج- استدراج الطفل الأكبر بإغرائه ليكون عوناً لهم ضدّ الأمير.

إن عدنا إلى المقطع نجد أن الأطفال، في الجزء (أ)، كانوا قد حفظوا تماما أدوارهم عندما يلتقون بعساكر فرنسيين يريدون الإمساك بالأمير، وعليهم أن يظهر لهم أنّ عدوّهم الحقيقي هو الأمير، وهو المتسبب في جوعهم، وما يدلّ على ذلك هو ردّ الأطفال جميعهم بصوت واحد: (جدّاً جدّاً) مكرّرين إجابتهم كالفرق الموسيقي كما وصفهم الكاتب، ولا يكون ذلك إلا إذا كان اتّفاق مسبق بينهم إذا ما هم لقوا العساكر الفرنسيين.

أمّا في الجزء (ب)، يظهر لنا تمسك الأطفال بتقاليدهم وحياتهم الخاصة التي لقوها منذ نشأتهم، فهم لا يأكلون الخبز من أيدي لا تتوضأ، وكانت للطفل الأكبر جرأة كبيرة جدّاً في مواجهة الضابط الفرنسي الذي بقي مشدوها من شجاعة الطفل التي تتّم عن أصله العريق، واستطاع الطفل تدريجياً أن يجيب الضابط، والذي امتثل بدوره لرغبة الطفل التي كانت تبدو محتشمة نوعاً ما، فسايره الضابط، فأمر بإحضار الماء وتوضأ كي يتيسّر للأطفال أكل الخبز من عنده.

وما يدلنا على أنّ الطفل كان محرّجا وخائفاً بعض الشيء من صراحته، أنّ الطفل قال أوّل الأمر:

- ديننا يمنعنا من الأكل من أيديكم.
- ثمّ قوله: لأنّكم لا تتوضؤون.
- ثمّ قوله: أن تتوضأ وتغسل يديك وذراعيك ووجهك وفمك وأذنيك ورأسك ورجليك.
- وبالمقابل كان تساهل الضّابط، وفضوله الكبيرين سببا في توفيق الطّفل، إذ تدرّج أيضا في طرحه للأسئلة، كما يلي:
- أنا أسأله لماذا لا يأخذ الخبز وهو في حاجة ماسة إليه؟ أعرف أنّكم جميعا تتضورون جوعا.
- ولكنّا لسنا مسلمين مثلكم، وماذا يجب أن أفعل حتّى يأكل أخوك الصّغير الخبز؟
- انحنى على الأبناء وبدأ يغسل يديه وذراعيه ووجهه وأذنيه ورأسه، ثمّ نزع حذاءه الخشن والجوارب التي كانت تغلفها.
- ثمّ سأل الطّفل من جديد، والآن؟
- إنّ الضّابط كان ذكياً في استدراج الأطفال بيسر وسلامة حتّى يطمئنوا له، فيطلب منهم ما يشاء فيما بعد، وما يدلّ على ذلك ما جرى في الجزء (ب)، إذ أنّ الضّابط أظهر تسامحا كبيرا لدرجة أنّه توضّأ دون أن يكون له عقدة من تعاليم دين آخر، لكنّ كلّ ذلك يهون في سبيل كسب الأهالي إلى صفّهم، لأنّ الفرنسيين يؤمنون تماما أنّ القضاء على المقاومة ستأتي من أهالي البلاد، قبل أن تأتي من الجيش الفرنسي.
- وفي الجزء (ج) نجد الضّابط يبدي إعجابه بالطّفل الأكبر ويفريه بالتجنيد لديهم في المستقبل، وبأنّه سوف يشبع كثيرا ولن يجوع أبدا، وهذا بمقابل أن يخبره كلّ ما يسمعه عن تحركات الأمير أو مخبريه أو رجاله.
- وهنا يظهر الوجه الثّاني للضّابط، إنّهُ يستدرج الأطفال حتّى يكسبهم لصفّه.
- أمّا عن موقف الطّفل، فيدلّ على ذكاء ووعي تامّين، إذ أنّه امتثل لكلام الضّابط واعداء إيّاه بما يطلبه منه فور سماعه أيّ خبر يخصّ الأمير.
- بعد هذا المشهد مع الضّابط الفرنسي، لا يوقف الكاتب رصده لهؤلاء الأطفال، فيتابع مسيرتهم في ذلك النّهار، إذ أخذ الأطفال يلاحقون كلبا أصفر

اللّون، ولما تعبوا ارتاحوا قليلاً، فيتوقف الكلب بدوره عن الرّكض، وتعبوا من الرّكض، ثمّ تمدّد الكلب وهو يطارد الدّباب بأنفه الطّويل وفي الوقت ذاته يرقب الأطفال بعينه وهو مستعد للركض إذا ما هم استأنفوا مطاردته، وبقي كلّ منهما ينظر إلى الآخر، وبينما هم على الحال نفسها، فإذا برجل غريب طويل القامة نحيف يخرج من وراء السّدرة العالية، وكان يحمل على ظهره كيساً من الخيش وحبلاً من القنب، ولم يكن هذا الرّجل من قبائل الغرابة، لكنّه يتكلّم لهجتهم بلكنة بارزة: «- اعيتوا بالوغاش؟ ارتاحوا شويّة وعندما تكبرون طاردوا الكلاب، الجري وراء الكلاب يتطلب درية وقوّة وما زلت صغاراً عليها

- احذر يا سيّدي، وقيل الكلب مكلوب، ما غلقش فمه أكثر من نصف ساعة، ولهذا نحاول أن نقبض عليه ونرميه خارج الغرابة باش تهنّوا منه.

- فقط؟ صحیح لحم الكلاب ماخ بزاف. (06)

- هل أكلت لحم الكلاب في حياتك يا سيّدي؟

- أبداً مثلكم تماماً.

- كيف عرفت أنّه ماخ.

- من الناس الذين يعيشون على أكل لحم الكلاب.

صمت الطّفل الكبير مخافة أن يزعج الرّجل الغريب الذي كان وجهه حاداً وبارداً كالحجرة وعظامه بارزة، فقد أحسّ بأنّ هذا الرّجل مثلهم هو كذلك يصطاد الكلاب الضّالة لأكلها.

- الكلب مكلوب يا سيّدي يجب أن تحذر، قال كبير الأطفال، لم يرد الرّجل الغريب عليه ولا بكلمة واحدة، ولكنّه وقف قليلاً يتأمّل الكلب الذي ثبت فجأة عينيه في عيني الغريب. وضع الرّجل كيس الخيش الممتلئ بشيء ما على الأرض، فتح كفيّه وحرك أصابعه قليلاً لكي يجري فيها الدم من جديد، تأمله الأطفال بغرابة افتراضاً أن يكون من القبائل المجاورة، وإلا ما غامر بالدّخول إلى هذه الأمكنة التي كانت غنيّة بمراعيها وأغناها، ولم تعد تنجب إلاّ الموت والخوف وقطاع الطّرق والتّوريات التي تنبت هنا وهناك كنباتات الفطر، نش الأطفال بعيداً عن المكان الذي كانوا فيه، ثمّ اقترب من الكلب وفي يده قطعة من اللّحم تفرّ بقوة رائحتها الكريمة وخرسها في الأرض بعد أن ثبتها بمسار، كانوا مشدوهين في حركاته السّريعة، طلب منهم ألاّ يتحرّكوا، وأن يقطّعوا أنفسهم للحظة، وأن يتظاهروا معه بالانسحاب لبرهة صغيرة، فجأة التفت بسرعة ثمّ ركض صوب الكلب الذي كان قد وضع في فمه الجزء من قطعة اللّحم المثبتة في الأرض ولم يستطع تركها حتّى عندما رأى الخطر يداهم، ولم يتركها وينفصل عنها حتّى كان قد تلقى الضّربة الأولى على رأسه بالدبوس الذي نزع الرّجل الغريب من خصره قبل أن ينحني عليه ويذبحه ويرميه في كيس الخيش، ويغلق كيسه بجبل القنب، وينسحب بدون أن يقول أيّة كلمة للأطفال الذين خرسوا فجأة، ولم يتجرأ أحد منهم حتّى

أكبرهم، أن يسأله عما فعله، عندما ابتعد قليلا، التفت نحوهم:

- ماتخافوش، من اليوم لن يضرّ أحدا، سأرميه خارج حدود الغرابة.»(07)

على الرغم من طول المقطع الروائي الذي اخترناه للتحليل، إلا أنه يحمل وحدة موضوعية تجعلنا لا نتوقف عند أي جزء منه، لذلك كان يصعب علينا تقليص هذا النص فنقلناه كما هو بلغته الأصلية، كي يتسنى لنا ملاحظة مواطن الجمال فيه وقوة التخيل الصارخة منه.

يبدأ الكاتب مقطعه الروائي، بوصف حالة الأطفال وهم يطاردون الكلب(*) الأصفر، وقد وصلوا إلى حالة من التعب يرثى لها، لكن الذي جدّ عليهم هو حضور الرجل الغريب الذي كان يحمل كيس الخيش المربوط بحبل القنب، ويسرد الكاتب واقعة اصطيد الكلب بطريقة مفصلة دقيقة، في حين لم يستطع الأطفال مواجهة الرجل الغريب وقول الحقيقة له.

بدأ المقطع بحوار بين الأطفال والرجل الغريب، وكان حوارا تغلب عليه اللهجة

العامية من خلال صورتين، هما:

- استعمال الكاتب لمفردات عامية، مثل: اعيتتوايالوغاش، .. شوية، .. ما غلقش فمه..

- غلبة الصياغة العامية على الفصحى: مثل قوله: الجري وراء الكلاب، إذ كان بإمكانه أن يقول: مطاردة الكلاب، مثلا.

وهذه هي ميزة الحوار المشهدي في الرواية، إذ يتبادل أطرافه ذوات تخيلية(08)، وهنا تكمن أهميته، في التأثير على المسار السردى وطبيعة لغته المباشرة العامية (**).

وفي هذا الحوار يحاول الأطفال أن يوهمو الصياد بأن الكلب مصاب بداء الكلب، ومع ذلك لم يصدّقهم الرجل الغريب مصرا على أنه سيبعد عنهم هذا الكلب الذي خافوا منه.

وقد علمنا أن الرجل الغريب أكل لحم الكلاب الضالة، من خلال زلة لسانه، عندما وصف لحم الكلاب بأنه مالح، وتفطنّ الطفل الأكبر إلى كلامه وسأله ما إذا كان قد أكل لحم الكلاب من قبل أم لا، لكنّه رفض رفضا قاطعا.

ومع ذلك كان الطفل ذكياً ومدركاً أنّ الرجل قد أكل لحم الكلاب ويخفي ذلك عنهم.

والعلامات التي تخص الرجل الغريب والتي ركّز عليها الكاتب هي علامات شكلية جسدية طبيعية، توحى بأنّه إنسان قاس قليل الرحمة، وأنّه جبل على قتل الكلاب وأكلها، وهذه الصفات حسب المقطع هي:

صفات جسدية عامة	هيئة خارجية	ملامح وجهه	لهجته
- غريب	- يحمل كيسا	- وجه حاد	- لهجته غريبة
- طويل	- من الخيش وحبالا	- وجه بارد	- لهجة قبائل الغرابة
- نحيف	- من القنب وعصا	- عظامه بارزة	- بلكنة.

كلّ هذه الصفات حدّدت ملامح شخصية الإنسان الغريب، الذي رآه الأطفال أوّل مرّة، وما زاد غرابته، هو ما كان يحمله من أشياء ممّا يؤكد أنّه مختص في صيد الكلاب، وطريقة انقضاضه على الكلب بسرعة، تتمّ عن أنّه ذو دربة واسعة في صيد الكلاب، ومن بين الأشياء التي كان يحملها والتي تثبت لنا أنّها لوازم الصيّد، هي:

- كيسا من الخيش مملوءا، يبدو ثقيلًا.
- يغلّق كيسه بحبل القنب.
- قطعة اللحم التنتة.
- مسمار.
- دبّوس (عصا).
- سكين طويلة.

لم يحمل الرجل الغريب هذه الأشياء معه من أجل لا شيء، بل هو متعوّد كما ظنّ الطفل الأكبر على اصطيد الكلاب وأكلها، لا كما أوهمهم بأنّه سيرميها بعيدا عن حدود قبائل الغرابة.

لقد أدرك الطّفّل الأكبر ما ينوي الرجل الغريب من خلال علامات معيّنّة، أثناء تحاورهما، وكذلك من خلال ملاحظته للأشياء التي كان يقيتها والتي استعملها

أثناء اصطیاد الكلب.

لقد أشار الكاتب من خلال هذه القصة القصيرة بين الأطفال والرجل الغريب إلى تهافت الناس على أكل المحرّمات من الطعام لشدة فقرهم وجوعهم، فأصبحت الكلاب والقطط محلّ أنظار مجموعة من الناس ليقتاتوا منها. وكان الأمر يبدو فيه شيء من الحرج، فالرجل الغريب لم يستطع أن يعترف للأطفال بأنّه صائد للكلاب وأنّه آكل للحمها، فهذا أمر منبوذ في المجتمع، ولا يفعله إلاّ الإنسان الذي لم يستطع تمالك نفسه أمام الجوع والفقر. بينما لو أتينا إلى موقف الأطفال، نجده معقولا، فهم يطاردون الكلب منذ برهة حتّى تعبوا، ولا يوجد في النصّ ما ينبئنا على أنّهم أرادوا قتل الكلب لأكله، إنّما يبدو لنا أنّهم كانوا يطاردونه للهو، إذ أنّهم كانوا قد أكلوا قطعة الخبز من قبل.

ولنفرض أنّ الأطفال أرادوا أكل الكلب، في هذه الحال هم غير متمرسون كفاية ليتمكّنوا من اصطیاد الكلب، فيقوموا بقتله وأكله أيضا!!

- كان الكلب بحوزة الأطفال لكن أصبح بحوزة الرجل الغريب.

- لرمز إذن للأطفال ب (ذات1) أو (ذ1). ولنرمز للرجل الغريب ب (ذات2) أو (ذ2).

- موضوع القيمة هو الاستحواذ على الكلب نرّمز إليه ب (م).

- فالبرنامج السردی (ف1) في هذه القصة الصغيرة، هو انتقال الفاعل من حالة امتلاكه للشيء إلى حالة انفصاله عنه بالطريقة التالية:

- ف1(ذ1م) ← (ذ1م).

- ف2(ذ2م) ← (ذ2م).

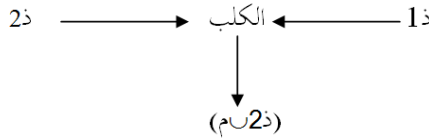
- استطاع الرجل الغريب أن يشدّ انتباه الأطفال بأسلوبه في صيد الكلب، فأنساهم ذلك أنّهم يريدون الكلب لهم، بل امتثلوا لما طلبه منهم، بينما تراجع الرجل الغريب إلى أن شعر الكلب بالأمان، فانقضّ على قطعة اللحم المثبتة بالمسمار، وهذا هو الفخ الذي سيحيل دون أن يتخلّص منه.

- كان الكلب جائعا وتعبا ورغم رؤيته للخطر القادم (اقترب الرجل الغريب منه وهو يحمل دبّوسا ليضربه على رأسه) إلاّ أنّه بقي متشبّثا بقطعة اللحم مما أدّى إلى أن

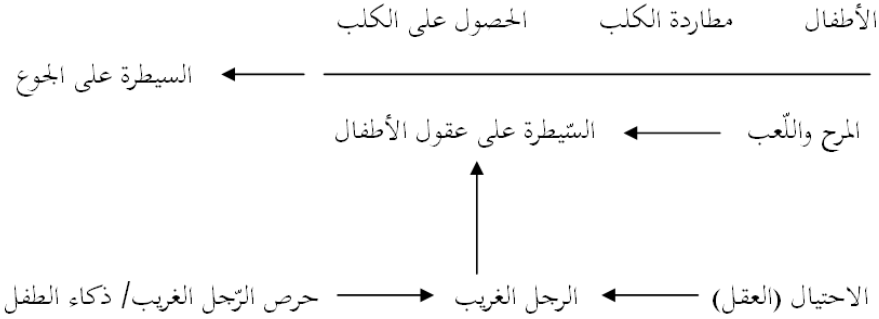
يلقى حتفه وهو ثابت في مكانه.

وحتى لا ينهض مجدداً واصل الرجل الغريب ذبحه حتى يتأكد من موته النهائي، ولم يكتف بهذا فحسب، بل حمل الكلب ووضع في كيسه وأغلق عليه بإحكام، وانطلق بعيداً.

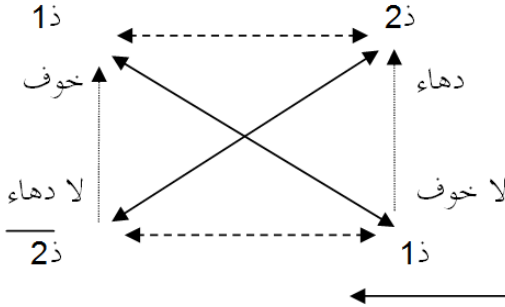
وهكذا تحول موضوع القيمة (الكلب) من ملكية الأطفال إلى ملكية الرجل الغريب، الذي كان حريصاً جداً في إخفاء سره، والمتمثل في قتل الكلاب وأكلها، وقد كان سريعاً وذكياً في طريقة صيده للكلب. ويمكننا أن نضع لذلك المخطط التالي:



إذن لدينا الخطاطة السيميائية التالية:



ويمكننا أيضاً أن نبنى النموذج الموالي من خلال الخطاطة السابقة:



النموذج العاملي رقم (1)

إنّ عملية نفي الدّهاء يحقّق الانتقال من (دهاء) إلى (لا دهاء)، وكذلك عملية نفي الخوف تحقق الانتقال من (خوف) إلى (لا خوف). كما أن عملية تحقق إحدى هاتين الصفتين يؤدي إلى تحقق الأخرى (لا دهاء) يؤدي إلى (خوف)، وكذلك (لا خوف) يؤدي إلى (دهاء).

ويبرز لنا من خلال هذا النموذج ثلاث علاقات نوضّحها كما يلي:

- علاقة تناقض بين [(دهاء) و(لا دهاء)] وبين [(خوف) و(لا خوف)].
- علاقة تضمين بين [(لا خوف) و(دهاء)] وبين [(لا دهاء) و(خوف)].
- علاقة تضاد بين [(لا خوف) و(لا دهاء)] وبين [(حيطة) و(خوف)].

لقد تولّد الشّعور بالخوف لدى الأطفال (ذ1) من إحساسهم بغربة الرّجل الغريب (ذ2) من خلال شكله الخارجي المربك، وطريقة مشيته.

لقد ثبت الشعور بالخوف من سماعهم لطريقة كلامه، ومراوغته في الإجابة عن أسئلة الطّفل الأكبر.

إنّ دهاء الرجل الغريب (ذ2) يكمن من خلال تهريه من الإجابات، وقلة الكلام، للاستحواذ على فكر الأطفال (ذ1) بطريقة غير مباشرة، كما يلي:

أولاً

عن طريق أسلوب الحديث بطمأنة الأطفال حتّى لا يخافوا منه من خلال قوله: (اعبيتوا يا لوغاش، ارتاحوا شوية، وعندما تكبرون طاردو الكلاب)

ثانياً

حاول الرّجل الغريب أن يبدو بمظهر النّاصح المتمرس بقوله: (الجري وراء

الكلاب يتطلب درية وقوة، وما زلتم صغاراً عليها).

يظهر (لا خوف) من خلال موقف الطفل الأكبر عندما أراد أن يشعر الرجل الغريب بأن الكلب مصاب بداء الكلب، بقوله: (احذر يا سيدي وقيلا الكلب مكلوب)، ثم يقدم له المؤشر الذي يدل على صدق كلامه (ما غلقش فمه منذ أكثر من نصف ساعة).

ثم إيهام الرجل الغريب (ذ2) بأن قصدهم هو القبض على الكلب ورميه خارج حدود قبائل الغرابة، وهنا يتجسد (لا خوف)، من دون أن يطلعه على نيّتهم الخفية في مطاردتهم للكلب.

لكن الرجل الغريب يستهزئ من كلام الطفل الأكبر، ويعلق بقوله: (فقط، لحم الكلاب مالح بزّاف).

ومن خلال لفظة (فقط) يتأكد الطفل الأكبر ضمناً بأن الرجل يعلم نيّتهم في اصطياد الكلب وقتله ومحاولة أكله، لكنّه لم يتوقف عند هذه الكلمة، بل أضاف ما يضيف معلومة للطفل الأكبر أنّ الرجل الغريب من آكلي لحوم الكلاب، فقد كانت زلة لسان فاضحة عندما تحدّث عن طعم لحم الكلاب، وهذا ما ولد لدى الأطفال (ذ1) حالة (لا خوف) مرّة ثانية، فالنّوايا التقت بين الطرفين (ذ1) و(ذ2) في الاستحواذ على الكلب.

يتفطنّ الرجل الغريب (ذ2) لزلته فيحاول إخفاء نيته في أكل الكلب، فيجيب عن سؤال الطفل الأكبر، بطريقة تقريرية لم يفصح فيها عن نفيه القاطع لأكل لحم الكلاب وفي الوقت ذاته يعيد السؤال لصاحبه بأن أجاب بقوله (أبداً مثلكم تماماً)، فإن عبارة مثلكم تماماً تتضمن معنى آخر، وهو أنّه مثلهم أيضاً يريد الحصول على الكلب لأكله، وهو يبدي في ذلك شعوراً بالسّخرية من الأطفال، إذ أنّه متيقن تماماً بأنهم يطاردون الكلب من أجل أكله.

يدرك الطفل الأكبر نيّة الرجل الغريب في أكل الكلب، لكن الخوف يحول دون تصرّحه بذلك، فيصمت، أمام ما رآه من ملامح وجه الرجل الغريب التي تبدو باردة بعظامه البارزة، والتي ولدت لديه إحساساً بأن هذا الرجل قاسي الطّباع، فأثر أن يصمت وبالتالي يتجسد هنا و (خوف) و (دهاء) معاً.

تصرّف (ذ2) تجاه موضوع القيمة (الكلب)، وطريقة اصطياده له، أدّى إلى تأكيد حالة (خوف) لدى (ذ1)، فانسحبت هذه الأخيرة، تاركة الأمور تسري كما أرادت (ذ2).

إذا عدنا إلى العلاقة بين موضوع القيمة (الكلب) و(ذ2) المتمثلة في الرجل الغريب، نلمح ما يلي:

يمكننا أن نجسّد نظاما مصغّرا حول رغبة الكلب ورغبة الرجل الغريب (ذ2).
[نرّمز للكلب بذات3(ذ3)].

- تحاول (ذ2) الاستيلاء على الكلب (موضوع القيمة 1) أو (م1) .
- تحاول (ذ3) المتمثلة في الكلب الاستيلاء على قطعة اللحم (موضوع القيمة2) أو (م2)، في هذه الحال يتحوّل موضوع القيمة1 إلى (ذ3) فهي تريد الحصول على (م2).
- المسمار يحول دون تمكن (ذ3) من الاستيلاء على قطعة اللحم (م2).
- تتمكّن (ذ2) من القبض على الكلب وبالتالي الحصول على موضوع القيمة1 .
- رغبة الكلب (ذ3) في تملكه ل (م2) قطعة اللحم، مكّنت (ذ2) من الاستيلاء على (م1) والمتمثّل في (ذ3) نفسها، أي الكلب.
- إنّ تعب الكلب وجوعه جعلاه يتشبّث كثيرا بقطعة اللحم كثيرا، هذا التشبّث الذي أدى إلى موته.

- ذكاء (ذ2) وسرعتها وخفّتها، جعلتها تتمكّن من موضوع القيمة1 (الكلب).
يمكن أن نعبر عن تلك العلاقات كما يلي:

$$\begin{aligned} - (ذ2 \cup م1) &\leftarrow (ذ2 \cap م1) . \\ - (ذ3 \cup م2) &\leftarrow (ذ3 \cap م2) . \\ - (ذ2 \cap م3) &\leftarrow (ذ2 \cap م1) . \end{aligned}$$

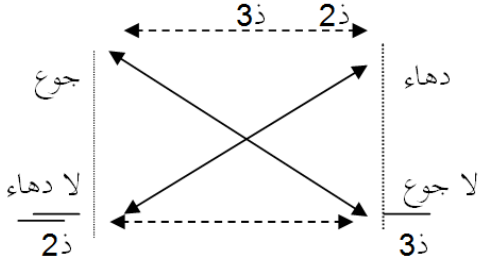
نلاحظ أن موضوع القيمة1 (م1) يتحوّل إلى ذات بدوره وهي (ذ3)، والتي تبحث عن موضوع قيمة ثان وهو قطعة اللحم، أو (م2).

نلاحظ أيضا علاقة تعديّ وتضمين أيضا باحتواء علاقة ضمن أخرى.

$$\left\{ \begin{array}{l} (2\text{ذ}) \leftarrow (1\text{م}) \\ (3\text{ذ}) \leftarrow (2\text{ذ}) \\ (1\text{م}) \leftarrow (2\text{م}) \end{array} \right. \leftarrow$$

يمكن أن ينتج لدينا النموذج التالي من خلال ما سبق ذكره بين الرجل

الغريب والكلب:



النموذج العملي رقم (2)

نلاحظ علاقة الاحتواء بين (2ذ) التي تود الحصول على (1م) وهذا الأخير

الذي يتحول بدوره إلى (3ذ) والتي تود الحصول على (م3) والمتمثل في قطعة اللحم.

الهوامش

(01) الرواية، ص152.

(02) Abraham A. Moles et Elisabeth Rohmer. *Psychologie de l'espace* p. 16. « L'homme construit sur les oppositions, les formes n'existent pour lui que dans leur opposition qu'il réalise avec le fond, le dedans avec le dehors, le vide avec le plein, la concentration avec l'isolement. »

(03) الرواية، ص. 335.

(04) الرواية، ص. 167.

(05) الرواية، ص. 168.

(06) الرواية، ص. 169.

(07) الرواية، ص. 169 ، 170.

(*) يرمز الكلب إلى الدّنس والتّعاسة، فهو حيوان غير طاهر في الشريعة الإسلامية، وهو في المقابل رمز للصّيد والثبالة والوفاء، ويقال: مات كالكلب، أي مات بتعاسة... ينظر في هذا الشّأن: فيليب سيرنج: الرّموز في الفن - الأديان - الحياة، ترجمة: عبد الهادي عبّاس. دار دمشق، ط1، سورية، 1992، ص75.

(08) ينظر: عبد الله كاظم: مشكلة الحوار في الرواية العربية. عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، ط1، إربد/الأردن، 2007، ص11.

(**) يقول الجاحظ معبراً على ضرورة المحافظة على لغة الحوار عند نقله بتركه بلغته العامية، إذ يقول: «متى سمعت - حفظك الله - بنادرة من كلام الأعراب فيأيك أن تحكيها إلا مع إعرابها ومخارج ألفاظها.. وكذلك إذا سمعت بنادرة من نوادر العوام وملحة من ملح الحشوة والطعام، فيأيك أن تستعمل فيها الإعراب، وتختير لها من فيك مخرجا سرياً، فإن ذلك يفسد الإمتاع بها..» ينظر في هذا الشّأن: الجاحظ: البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون. مكتبة الجاحظ، ط4، بيروت، (د.ت)، ص146، 145.